العرب
الخميس 2021/10/21
السنة 44 العدد 12216

مغاربيو فرنسا يخرجون عن صمتهم عبر روايات وأفلام تسائل الماضي

جيل جديد من المبدعين يحاول استنطاق الهامش وكشف المجهول

فيلم «جزائرهم» يعيد للأجداد أصواتهم المفقودة

فايزة غوين وليليا حسين وأليس زينيتر وكوثر حرشي كاتبات يقدمن قراءة جديدة للذاكرة

أدب المهجر كما عرفناه في مطلع القرن الماضي، انضوى تحت مدارس أهمها الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية، لكن ما تلاها من كتابات للعرب المغاربيين على وجه الخصوص من المهاجرين إلى أوروبا وتحديدا إلى فرنسا اختلف كليا عن أدب المهجر السابق، اختلاف ترسخ مع الجيل الثاني والثالث من المهاجرين الذين صاروا مزدوجي الهوية وباتوا أكثر حرصا على استنطاق المسكوت عنه شأنهم شأن الفنانين والمبدعين في فنون أخرى.

باريس – يتولى أبناء الجزائريين والمغاربة الذين هاجروا إلى فرنسا في مرحلة ما بعد الاستعمار توثيق هذه الذاكرة التي يلفّها صمت الغربة أحياناً، وفي أعمالهم على الشاشة أو على صفحات الروايات والكتب، يضعون نقاطاً على حروف حياة أشخاص "مهمشين" ويحيون الذاكرة بشكل آخر.

وربما ساهمت وسائل التواصل وسهولة العبور إلى المعلومات والأزمات الوجودية التي خلفتها التكنولوجيا والصراعات والتقلبات والكثير من الأسباب الأخرى في العودة إلى مساءلة التاريخ، وهو ما دفع بالأجيال الجديدة من الكتاب والفنانين المغاربيين المقيمين في فرنسا إلى طرق مواضيع كانت في السابق مسكوتا عنها بالكامل، أو يتحاشى الكثيرون الخوض فيها.

تجنب الكثيرون الخوض في الأسباب الحقيقية لهجرة الجيل الأول من الجزائريين المتهم بعضهم بالتعاون مع الاحتلال الفرنسي، وهجرات أخرى للمغاربة والتونسيين، لمن خيروا الاستقرار في فرنسا وتركوا ماضيهم في أوطانهم علامة استفهام أغرت الأحفاد بتتبعها.

صمت الأجداد

في إطار استنطاق الذاكرة انطلقت في منتصف أكتوبر الجاري في دور السينما الفرنسية عروض الفيلم الوثائقي "جزائرهم" للمخرجة لينا سويلم (31 عاما)، كريمة الممثل زين الدين سويلم، وتستكشف فيه صمت جديها عائشة ومبروك، وهما اللذان انتقلا إلى فرنسا في خمسينات القرن العشرين، ولم يتركاها بعد ذلك.

فالمخرجة الشابة لا تعرف شيئاً عن حياتهما، وهي تسعى عبر الفيلم إلى استكشاف فجوة الذاكرة هذه التي انتقلت أيضاً إلى والدها، ومما تبيّن لها مثلاً خلال تصوير الوثائقي أن أباها المولود في فرنسا لم يحصل على الجنسية الفرنسية إلا بعد 18 عاماً.

وتقول سويلم "لم نتحدث قط عن هذه المواضيع لأن الصمت كان القاعدة. ذلك الصمت الذي كان ينتقل من جيل إلى جيل، كما لو أنه لغة المنفى في نهاية المطاف".

من دون غضب

من خلال إعطائها الكلمة لجدّيها، وهما من "أولئك الأشخاص غير الظاهرين في القصة الوطنية الفرنسية الذين اضطروا إلى التزام التحفظ لكي يتمكنوا من العيش بسلام"، تمكنت سويلم من ربط قصتها الشخصية بالتاريخ الأكبر.

وإسماع هذه الأصوات هو أيضاً ما أرادته ليليا حسين من خلال رواياتها "سولاي أمير" (شمس مُرّة) الصادرة عن دار"غاليمار" والتي اختيرت ضمن اللائحة الأولية للأعمال المتنافسة على جائزة "غونكور"، أرقى الجوائز الأدبية الفرنسية.

وليست هذه القصة رواية ذاتية مع أنها بمثابة لوحة تصوّر هجرة أسرة جزائرية إلى فرنسا في ستينات القرن العشرين وتحاكي تالياً قصتها الخاصة.

وتشرح المؤلفة، وهي صحافية، أنها شاءت أن تفسح المجال "أمام المنتمين إلى هذا الجيل" لكي يقولوا ما لديهم.

وتلاحظ حسين التي تتولى مهمة التعليق في برنامج "كوتيديان" التلفزيوني أن "ما من شيء متوافر عن هؤلاء الذين كانوا أولَ من أتى إلى فرنسا. فثمة أفلام وكتب عن حرب الجزائر، لكنّ التوثيق قليل جداً للمجيء إلى فرنسا". وتؤكد أنها كتبت "من دون غضب".

وشهدت السنوات الأخيرة إصدار عدد من الأعمال التي تسعى إلى تسجيل هذه الذاكرة التي بدأ الشهود عليها يتلاشون تدريجياً، من بينها "لا ديسكريسيون" عن دار "بلون" عام 2020 لفايزة غوين و"لار دو بيردر" الصادر عن دار "فلاماريون" والفائز بجائزة "غونكور" لتلامذة المدارس الثانوية عام 2017، وهو كتاب لأليس زينيتر مستوحى من حياة جديها اللذين انتقلا من الجزائر إلى فرنسا.

كذلك نشرت ليلى السليماني "لو بيي ديزوتر" عن دار "غاليمار" عن 2020 عن لقاء جدتها الفرنسية بجدها المغربي، إضافة إلى أعمال لكتّاب آخرين.

ترى الباحثة سليمة طنفيش في تصريح لها أن ثمة "حركة حقيقية لتحرير ذاكرة" هؤلاء المهاجرين الأُوَل، وهي مهمة يتولاها أحفادهم.

وتضيف "بالنسبة إلى الجيل الأول، كان من الضروري أن يبقى حذراً من أجل البقاء. أما بالنسبة إلى الجيل الثاني الذي كان شاهداً على تضحيات والديه، فكانت مسألة الذاكرة ثانوية. إلا أن الجيل الثالث، القريب بما فيه الكفاية ولكن البعيد في الوقت نفسه عن هذا التاريخ المؤلم. هو الذي تمكن من الاستحواذ على هذه القضية".

وبالتالي، انكبّ أبناء الجيل الثالث على سبر أغوار هذه القصص، ولاسيّما النساء منهم اللواتي يتولى عدد منهن هذه المهمة في الوقت الراهن.

وفي نهاية شهر أغسطس، نشرت عالمة الاجتماع كوثر حرشي رواية بعنوان "كوم نوزاريفون" عن دار "أكنت سود" تتناول فيها قصة انتقال والديها من المغرب إلى فرنسا، وتتناول العنصرية الكامنة، كذلك الإهداء الذي لم تنسه الكاتبة البالغة 34 عاماً من معلّمة إلى من سمّتها "عربيتي الصغيرة".

وتؤكد حرشي أن "الكثير من الناس يمكن أن يجدوا أنفسهم" في هذه القصة التي تتجاوز شخصها.

وتعتبر المخرجة الوثائقية لينا سويلم أن "المهم هو أن هذه القصص موجودة وتعيش في المجتمع الفرنسي لأنها جزء من التاريخ الفرنسي. حتى لو كان يُنظر إليها لفترة طويلة على أنها تنتمي إلى تاريخ غريب عن تاريخ فرنسا".

> قصص المهاجرين بمختلف أجيالهم موجودة وتعيش في المجتمع الفرنسي لأنها باتت اليوم جزءا من تاريخ فرنسا

معرض الكتاب العربي في إسطنبول بوابة الأدباء العرب للقارئ التركي

إسطنبول – أشاد أدیبان وقائمان على "معرض إسطنبول الدولي للكتاب العربي" بتحول دورته السادسة إلى "مهرجان ثقافي عالمي"، مع آمال بأن يصبح جسرًا بين العرب والأتراك، وأن يتسع التبادل الثقافي بين الجانبين.

وبعد توقفه لعامين بسبب جائحة كورونا عاد المعرض، وعلى مدار تسعة أيام زخر بفعاليات ثقافية مكثفة ومتنوعة، واختتم فعالياته في السابع عشر من أكتوبر الجاري.

واستقبل المعرض 108 آلاف و201 زائرا، بينهم 18 ألفا و642 في اليوم الأخير، بحسب إحصاء للقائمين عليه.

وتحت شعار "خَلق بالمعرفة" نظمت "الجمعية الدولية لناشري الكتاب العربي" و"جمعية الناشرين الأتراك" المعرض بمدينة المعارض في إسطنبول بمشاركة أكثر من 23 دولة و250 دار نشر عربية.

وخلال المعرض أطلق الكاتب والروائي الأردني أيمن العتوم كتابه "صوت الحمير"، وهي رواية فلسفية ساخرة تركز على طبائع البشر من خلال المقارنة بين الإنسان والحيوان.

وفي حديث معه بمعرض إسطنبول أعرب العتوم عن سعادته "بتعطش الجالية العربية في المدينة (أكثر من 5 ملايين عربي) للكتاب العربي". لافتا إلى أن إقبال زوار المعرض كان وافرا على محاضرة له تحدث فيها عن رحلته في الكتابة.

وأضاف "من عرف قيمة اللغة العربية سيرحب بأن يقام على أرضه معرض الكتاب العربي، وقد عرفت تركيا قيمة العربية".

وتابع "أمل أن يكون التبادل الثقافي بين الكتابين العربي والتركي أوسع مستقبلا، فهناك انفتاح من الأتراك على اللغة العربية، قابلت خلال السنوات الست الماضية أكثر من ألف طالب تركي في الأردن ودرستهم، لكن لم يصل التبادل إلى أوجه حتى الآن".

واعتبر العتوم أن معرض إسطنبول "نواة أساس" لنشر الكتاب العربي في تركيا، لكن لم يتجاوز عدد الأتراك المقبلين عليه 10 في المئة من الزائرين، ولن يتحول إلى "ظاهرة" إلا حين يقبل عليه عدد أكبر من الأتراك.

ورأى أن نسبة مبيعات كتبه في المعرض جيدة بقدر نسبتها في المغرب، وفاقت الإقبال عليها في معرض بغداد.

وعن وضع الكتّاب عامة أعرب عن أسفه لعدم قدرة الكاتب على أن يجعل من الكتابة مورد رزق "فالكاتب أفقر الناس"، فهو يعمل كمدرس في مدرستين في الوقت الذي تندثر فيه أهمية المثقفين في المجتمعات العربية، بدلا عن أن يقودوا المجتمع، على حد قوله.

وبشأن كتاباته قال إنها "تتميز بمناقشة الأمور الإنسانية المشتركة بغض النظر عن العرق أو الدين أو الجغرافيا، وهو أمر يُنجح الكاتب".

وأردف "أنا مهندس وعملت في الهندسة، وانتقلت إلى دراسة اللغة العربية حبا بها. وأكتب لأنجو، لأنجو من الحزن، لأنتصر على الجلاد وعلى المقصلة، ولكي يذكرني التاريخ بالخير، لأنني أدرك تماما أن التاريخ لا يَنسَى ولا يُنسى".

أما الكاتب والروائي العراقي أحمد خيري العمري فوقّعَ خلال المعرض روايته الجديدة "الخطة السرية لإنقاذ البشرية".

وهذه الرواية تحوي شخصيات خيالية من خلال حيوانات عاشت حقبة السيرة النبوية، في محاولة لإيصال السيرة بطريقة إبداعية مبتكرة.

وقال العمري، وهو طبيب أسنان، إن استمرار المعرض الدولي للكتاب العربي في تركيا لسنوات هو دليل نجاح، فهو "ظاهرة ثقافية إيجابية"، وعلامة على وجود ناشرين في إسطنبول، وتفاعل الجمهور العربي مع الكتاب العربي.

وأعرب عن إعجابه بالاهتمام خلال المعرض بكتب الأطفال من حيث المحتوى والمستوى الطباعي.

وعن كتبه قال إن فيها بصمة الأدب الإنساني، رغم أنها تتسم بطابع ديني، لكنه يقر بالتقارب الكبير في كتاباته بين العلمانية والدين في الفضاء الإنساني الرحب.

وعن صمود الكتابات رأى العمري أن من أهم ما يدعم صمودها هي الأصالة والإبداع والحقيقة، وهذا لا يُكتشف إلا بعد فترة طويلة من مضي الكاتب في طريقه.

وأردف "هناك أمور كثيرة تسهم في إنجاح الكاتب أو فشله، منها الفرص والموهبة والجهود والقدرات، وأمور أكبر من الصيغ الفردية، إضافة إلى الصراعات السياسية".

واستطرد "نعيش الآن في واقع تتواجد فيه مواهب كثيرة لم تتوفر لها فرص للانتشار، ما يعني أن الأكثر انتشارا ليس بالضرورة الأكثر جودة".

معرض اسطنبول للكتاب العربي
Istanbul
Arapça Kitap Fuarı

> المعرض يطمح إلى أن يكون نواة أساسية لنشر الكتاب العربي في تركيا وأوروبا رغم قلة إقبال الأتراك عليه

وتابع أنه يعمل في عيادته بالرغم من مواصلته الكتابة، ودرس الطب بناء على رغبة أهله، لكن شدته مواهبه إلى أماكن أخرى ليحلق في عالم الرواية والكتابة.

وقال المنسق العام لمعرض إسطنبول محمد أغير أقجة إن "معرض إسطنبول يكبر في كل دورة، ونطمح إلى أن يكون جسرا ذا ممرين للثقافة والعلوم والأدب بين العرب وأشقائهم الأتراك وقارئي العربية في أوروبا والعالم".

فيما قال مدير المركز الإعلامي للمعرض كمال بن جعفر إن دورة المعرض السادسة كانت "مهرجانا ثقافيا عالميا خارج جغرافيا العالم العربي".

وأضاف بن جعفر أن "المعرض شهد عرض أكثر من مليون كتاب وأزيد من مئة ألف عنوان على جمهور القراء، وأقيمت قرابة مئة فعالية ثقافية لمشاهير من الكتاب والباحثين والشعراء".

وأشاد بـ"حضور علماء وباحثين وعدد من صانعي المحتوى في مواقع التواصل الاجتماعي، في الوقت الذي كثر فيه الزوار بحثا عن بغيتهم من خير جليس في الزمان (الكتاب)، فكانت المتعة وتحققت الفائدة في جو ثقافي فريد".

وشاركت في المعرض دول عديدة أبرزها تركيا ومصر وفلسطين ولبنان وسوريا والعراق والسعودية والكويت والسودان والجزائر وقطر والإمارات وإيران والولايات المتحدة والأردن وتونس والمغرب وليبيا وأيرلندا وإسبانيا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا.

نافذة هامة للكتاب العربي